Comprehensive Journal of Science
Volume (9), Issue (36), (Sept 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد(9) العدد (36) (سبتمبر 2025)
ردمد: 3014-6266

تجلّيات المكان ودلالاته في المُنجز الرّوائي اللّيبي رواية "أم الزين" لـ(غالية الذرعاني) أنموذجاً

هالة سعد علي أحمد
محاضر مساعد، قسم اللغة العربية- كلية الآداب العجيلات - جامعة الزاوية
Email: h.ahmed@zu.edy

تاريخ الاستلام:2025/8/8 –تاريخ المراجعة: 2025/9/9– تاريخ القبول:2025/9/18– تاريخ للنشر : 2025 /9/23

الملخص:

إن عنصر (المكان) ميدان خصب لإثراء النصوص السردية في مجال النقد الأدبي، فنجده يزخر بكم هائل من آراء العلماء واجتهاداتهم، فمنهم من عدّه مكان جغرافي هندسي ذات حدود تؤطر النص الأدبي، ومنهم من عدّه مجرد حيّز مادي تستعمله الذات للوصول لمبتغاها، وهناك من رأى أنّ المكان لا يمكنه أن يبقى جامداً؛ لأنّه عنصر حي يولّد الدلالات الرمزية والاجتماعية؛ من خلال إضفاء الكاتب لحس الخيال على نصه الأدبي، وبذلك يساهم لمكان في تطور الشخصية المنتجة للأحداث، وفي دراسة رواية (أم الزين) نجد أنّها لم تحوِ أماكن كثيرة؛ وهذا يعود لبنية النص الروائي وما يتطلّبه، ومع أنّ الأمكنة كانت قليلة إلاّ أنّها حملت دلالات عميقة تكفي لإيصال المعاني التي يحملها النص.

الكلمات المفتاحية: تجليّ، المنجز الروائي، الأليف، أم الزين، المكان ودلالاته.

Abstract:

Manifestations of Place and Its Connotations in the Liban Novel Achievement (Umm Al-Zain) Novel by (Ghalia Al-Dharaani) as a Model

Hala Saad Ali Ahmed

Assistant Lecturer, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Ajilat – University of Zawia

Abstract:

The element of (place) is a fertile field for enriching narrative texts in the field of literary criticism, We find it replete with a huge amount of scholars' opinions and efforts, Some consider it a geographical and geometric place with borders that frame the literary text, while others consider it merely a physical space used by the self to achieve its goals, There are those who believe that pace cannot remain static, because it is living element that generates symbolic and social connotations through the writer's imaginative addition of his literary text, Thus, place contributes to the development of the character that produces events, In studying the novel (Umm al-Zein), we find that it does not contain many places, This is due to the structure of the novel and what it requires, Although the places were few, they carried profound connotations sufficient to convey the meanings of the text.

Keywords: manifestation, novelistic achievement, familiarity, Umm al-Zein, place and its connotations

المقدمة:

المكان هو عنصر متنامي، يرتكز عليه النّص الأدبي وبدونه يختل توازنه، فهو العمود الفقري الذي ينهض بالنص ويساهم في نجاحه، واخترتُ دراسة هذا العنصر في رواية (أم الزين)؛ لحسن تناغم المكان مع العناصر السردية الأخرى وإبراز دلالاته،

وكيفية توظيف الكاتبة له، ومن التساؤلات التي فرضتها بنية النص المدروس، وهي: ما مفهوم المكان؟ وكيف يكون عنصر فعال في النص الأدبي؟ وما علاقته بغيرهِ من العناصر السردية الأخرى؟، ومن ضمن الدراسات التي ناقشت هذا الموضوع: محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون . بيروت . لبنان، ط1، 1431هـ . 2010م، غاستون باشلار، جماليات المكان، تر، غالب هلساَ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1404هـ ، 1984م، وغيرهم، واعتمدتُ على المنهج البنيوي في دراستي لهذا الموضوع، وقسّمت البحث على ثلاث جزئيات: مفهوم المكان، أشكاله، وعلاقته بالعناصر السردية الأخرى .

مفهوم المكان في الرِّواية:

كان اهتمام العلماء قديماً مرتكزاً على دراسة الزّمن الرّوائي والشّخصيات والحدث الذي تنتجه هذه الشّخصيات، أمّا عنصر المكان فقد كان مُهملاً لفترة من الزمن، حتّى أدرك الأدباء والنُّقاد مع تطور الأدب ونقده قيمة المكان فعكفوا على دراسته؛ لأنّه مُرتكز أساسي من مرتكزات العملية الأدبية التي لا ينبغي إهمالها .

"كان الكتاب الكلاسيكيون يجعلون المكان مجرد حيز مادي تأخذه الذات... أما في الرواية الجديدة فيأخذ المكان صورة انزياحية ذهنية تطبعها فيه الشخصية بكل انفعالاتها (1)"(عجوج، 2018م، ص220)

بدايةً كان توظيف الكُتَّاب وتحليل النُّقاد للمكان من منظور هندسي جغرافي لا يتعدَّى كونه إطار يُحدِّد النَّص فقط، أمَّا أُدباء ونقَّاد العصر الحديث فدرسوه من منظور مختلف تماماً، من منظور دلالي، ورمزي، وثقافي، واجتماعي، فهو عنصر فعّال، وقائم بذاته ، وقد وُظّف في النص لإعطاء دلالات عميقة ومُكثَّفة لهذا النص .

ويقول (محمد بوعزة): "الفضاء في السرد إلى جانب بنيته الطبوغرافية (الجغرافية، المكانية) يمتلك جانبا حكائيا تخيليا يتجاوز معالمه وأشكاله الهندسية، لذلك حتى لو كان الفضاء الروائي يمتلك امتدادات واقعية، بمعنى يحيل على أمكنة لها وجود في الواقع، فإن ما يهم في السرد هو الجانب الحكائي التخيلي للفضاء، أي الدور الحكائي النصي الذي يقوم به داخل السرد.(2)"

ذات الفكرة يطرحها (محمد بوعزّة)، فهو يرى أنَّ المكان وتحليل بنياته تتعدى التحليل السطحي القائم من زاوية الموقع الجغرافي والهندسي فقط، بل هو عنصر فعّال في النص، فعند توظيف الكاتب له في الرواية يصبح مكان تخييلي مُشترك في العملية الأدبية، فلا يعنينا وجوده في الحقيقة من عدمه، وإنّما يعنينا عمله كعنصَّر مُتخَّيل يُعطي دلالات وإيحاءات وتفسيرات حسب مُتطلبات العمل الأدبي.

وكذلك يسير (غاستون باشلار) على النَّسق نفسه، فيقول: "إنّ المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أنّ يبقى مكاناً لا مباليا، ذا أبعاد هندسية وحسب . فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من أننا ننجذب نحوه لأنّه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية في مجال الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة متوازية"(3).(باشلار ،1984م، ص31).

أي: أنَّ المكان الذي يختلط فيه الخيال مع الواقع، لا يمكن أن يكون جامداً أصمّاً مُجرد حدود وخطوط تأطيرية، بل عنصر فاعل وركيزة أساسية تعمل على تصاعد الأحداث، والسير بها وفق مُخطّط استراتيجي محبوك، بواسطة تفاعله مع الشخصيات التي تُساعده في رسم خط سير محدد للأحداث، وإنتاج الدلالة وصناعة المعنى المرجو من النّص .

ويرى حسن بحراوي أنّ المكان "... لا يوجد إلا من خلال اللغة فهو فضاء لفظي (Espace verbal) بامتياز"(4) (بحراوي، 1990م، ص27).

وفق منظور (بحراوي) إنّ المكان ينشأ من خلال كتابة النص وقراءته، بواسطة اللغة المكتوبة، بمعنى أنّه: كائن من ورق يُوجد بوجود العمل الأدبي، وهو يعتمد على توظيف الكاتب له في الخطاب المُتخيّل وفق ايديولوجيته الخاصة .

ويضيف (بحراوي) " إن المكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالا، ويتضمن معاني عديدة بل لأنه قد يكون في بعض الأحيان، هو الهدف من وجود العمل كله"(5).(بحراوي،1990م، ص33).

تتفق الباحثة مع (بحراوي) فيما ذهب إليه، من التشديد على أهمية المكان، وأنّه ليس عنصرا زائداً؛ لأننا نعي تماماً أنَّ كل ما يُكتب في النص الأدبي أو ما يُوظّف من عناصر روائية لم يكُن عبثاً، وإنّما لمقصد في نفس الكاتب، من دلالات وإيحاءات مُكثَّفة تخدم نصّه الأدبي، فقد يكون الغرض من الرواية كلها هو إبراز المكان، مثل: بعض روايات إبراهيم الكوني، التي يلعب فيها المكان دور الشّخصية الرّئيسية المحورية وكل العناصر تدور في فلكه وتخدم لصالحه .

ويوضّح لنا (غالب هلسا) أهمية المكان وعمله ضمن سلسلة عناصر متضافرة لأداء عمل متكامل وإخراج نص متماسك متين، فيقول: "يوجد المكان عندما نكون شهوداً عليه، إذا ابتعد أو أدار ظهره، اختفى المكان . والذاكرة هي التي تحافظ على المكان؛ افتقاد الذاكرة، يعني افتقاد الهوية وبالتالي الانتماء"(6).(آبادى، 1391هـ ، ص16).

بمعنى أنَّ المكان يكتسب دلالته وهويته عندما يتفاعل مع الشخصيات من خلال السرد والوصف، فالمكان ليس مجرد جدران وأبنية صمّاء لا حياة فيها أو معالم جوفاء خاوية، أو تُراب يعبرونه، بل هو جدران حانية على قلبٍ صغير ألمَّ به ألمٌ كبير، هو فرحة الطفل وهو في حضن العائلة الدافيء، هو ذكرياتٌ بنتها الذاكرة وشيَّدت عليها أسواراً عاليةً لتكون هوية وانتماء لساكني هذا المكان، فالذاكرة تستجلب المكان حتى لو ابتعدت الشَّخصية عنه، فمهما ابتعد الإنسان عن مكانه في أوقات الفرح وأوقات الحزن والضيق سيحنّ إليه وتلقائياً سيتذكره ويتذكر أهله وأصدقائه وسيتذكر اجتماع العائلة وضوضاء أصواتهم وقت الطعام، وسيتذكر كيف كان يعمل في حديقة بيته ليكسو هذه الحديقة الخضار . وتعبق بالروائح العطرية الفواحة المنبعثة من النباتات . وتصبح في أبهى حُلَّة، وسيتذكر عمله في حقله.

ومن هنا تتجلّى قيمة وأهمية المكان و إثباته لحضوره .

أمّا (لوري لوتمان)، فيقول: " هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة...) تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/ العادية (مثل: الاتصال، المسافة ...)"(7).(بوعزّة، 2010م، ص99) .

يرى (لوري لوتمان) أن المكان هو كتلة من عناصر متجانسة متكونة من ظواهر اجتماعية حياتية، وحالات ووظائف وأشكال متغيرة، كالحب، والحرب، والغربة، السجن، أو تحوّل الصحراء إلى عمار، كل هذا المزيج يوظف توظيفا قريبا من العلاقات المكانية الموجودة في الواقع .

وبعد ما طُرح آنفاً نتوصّل إلى أنّ المكان عنصر مركزي وعمود فقري للنص لا يمكن الاستغناء عنه، فهو أداة من ضمن أدواتٍ عِدَّة يستخدمها الكاتب لخلق نص أدبي متماسك يوصل به رسالته الممزوجة بالدلالات الاجتماعية، أو الرمزية، أو الواقعية، أو السياسية، أو التاريخية .

أشكال المكان في الرواية :

- الأماكن العامة (المفتوحة):

وهي أماكن تُقدّم خدمات لجميع الناس، مثل: المدارس، الحدائق العامة، المستشفيات.

• مستشفى الجلاء (بنغازي):

1 _غرفة الطوارئ:

"كنتُ ممرضة عادية في قسم الطوارئ، مهاراتي التمريضية محدودة: حقن بالعضل، قياس ضغط دم أو سكر عادي، قياس حرارة، مساعدة الرجال في قسم الإسعاف على استقبال وحمل المصابين والمرضى من سيارات الإسعاف إلى النقالات إلى غرفة الإسعاف، وكل تلك المهارات تعلمتها بالتجربة والخطأ، لم ألتحق بدورة للتمريض ولا درست في معهد صحي ..."(8).(الذرعاني، 2022م،ص50،51) .

الخبرة من أهم الأساسيات المطلوبة في أداء أي عمل كان، فعندما تتوفر الخبرة يستطيع صاحبها إتقان عمله، وأدائه على أكمل وجه، ومع أنّ الشخصية المحورية، لا تملك شهادة تمريض ولا حتى دورة تمريض، إلاّ أنّها تعمل في المستشفى داخل غرفة الطوارئ، تحمل المصابين والمرضى على النقالات من سيارات الإسعاف إلى غرفة الطوارئ، كما تستطيع أن تحقن الإبر في العضل، وتقيس الضغط ونسبة السكر في الدم، وكل هذه الأفعال اكتسبتها بالخبرة .

2 _غرفة العناية المركزة:

"جعلت من غرفة العناية التي ترقد فيها نفيسة بيتي وسكني، حقيبة ملابسي لم تُغير مكانها منذ خمس سنوات هناك في خزانة الغرفة، كتبي على الطاولة عند رأس المريضة، وصور سراج أيضاً"(9).(الذرعاني، 2022م،ص50).

"كانت غرفة العناية منذ فترة ساحة للأنين والألم، شباب وكبار في السن، رجال ونساء، حتى الأطفال قد شاركوا في تهديد نفيسة بإخلاء سريرها هناك، كنتُ أقف بحزم، وأدافع عن مكانها بين الأجهزة الطبية الكثيرة"(10).(الذرعاني، 2022م،ص59،58).

من خلال هذين المقطعين نجد أنَّ (سعاد) اختارت الانتقال من بيتها والعيش في المستشفى وبالتحديد (غرفة العناية)؛ وذلك للاهتمام بالمريضة (نفيسة)، ومتابعة حالتها الصحية، والقيام بكل شؤونها، والوقوف في وجه كل من يحاول إخراجها من غرفة العناية وإخلاء سريرها.

توضّح الكاتبة حالة (سعاد) النفسية وارتباطها بالماضي، وهو عدم تصديقها لوفاة ابنها (سراج)، واتّخاذها لقرار البقاء مع المريضة (نفيسة) على أمل أن تتعافى وتصحو من غيبوبتها؛ لتكون الوسيط الذي يحلّ مشكلة سراج عند زوجها (حازم علاّم).

جاءت غرفة العناية تحمل دلالات سردية درامية، تدور فيها جلّ أحداث القصة، فقد سكنتها الشخصية المحورية مدة خمس سنوات، منغلقة على نفسها ترفض الاهتمام بعائلتها والخروج من غرفة العناية وترك نفيسة وحدها، حتى بعد سماعها بغياب ابنتها (سناء) عن البيت، لم تتراجع عن قرارها بالبقاء داخل (غرفة العناية)، وهذا القرار المصيري الذي اتّخذته يدلّ على العزلة والانتظار، ويوضّح الحالة النفسية السيئة للشخصية المحورية (سعاد).

• الأماكن الخاصة (المغلقة):

وهي بعكس الأماكن العامة، فهي أماكن لها خصوصية تنفرد بها، مثل البيوت، والغرف .

• بيت سعاد:

وهو بيت الشخصية الرئيسية (سعاد) "البيت الذي أسكن فيه، إذ أنه كان في الأصل بيتاً يملكه أحد وزراء العهد الملكي، بناه على شكل عمارة من ثلاث طوابق، وكل طابق يحتوي شقتين، وسكنت في الشقة رقم خمسة من الطابق الثالث"(11)(الذرعاني، 2022م،ص93) .

تصف الكاتبة مكان سكن (سعاد)؛ لإبراز الحالة الاجتماعية لهذه الشخصية، وأنّها من (الطبقة الكادحة) وهذا ما نستشفه من خلال سكنها في شقة داخل عمارة، مقارنة بشخصية (نفيسة) التي تسكن في فيلا .

فالكاتبة لم تقم بوصف مكان الشخصية الرئيسية عبثاً، وإنّما لدلالة معيّنة وهي توضيح وضعها الاجتماعي، لأنّ مكان عيش هذه الشخصية متعلق بذاتها ويمكن ربطه حتّى بحالتها النفسية، وأحياناً تفسيراً لبعض التصرفات التي تصدر عنها .

أ_ نافذة غرفة سعاد:

"جلستُ على حافة سريري، يداي في حجري، تتصارع أصابعهما في عنف، سقطت دمعة على خدي، شعرت بضيق في التنفس فنهضت وفتحت النافذة، هاجم مسامعي هدير المدينة الصاخب، وصوت (محمد حسن) يصدح عاليا في الشارع منبعثاً من دكان الحاج عمر أسفل العمارة"(12).(الذرعاني،2022م، ص14) .

(النافذة المفتوحة) تحمل دلالات الانفتاح على العالم الخارجي، أي: خروج الشخصية من عزلتها في عالمها الداخلي الخاص إلى العالم الخارجي بكل ما يحمله من مفارقات.

في هذا المقطع تصف الشخصية الرئيسية (سعاد) حالتها النفسية السيئة، وما تشعر به من ألم وضيق، فتلجأ إلى فتح النافذة لاستنشاق الهواء العليل النقيء؛ ليساعدها في تخفيف الضيق الذي تشعر به، فنجدها وظّفت حاسة السمع لإعطاء دلالات مكثّفة، ومن خلال وصفها نجدها استخدمت ألفاظاً، مثل: (هاجم مسامعي، هدير المدينة الصاخب) التي تدل على عدم الراحة والسكينة، وتتابع وصفها لهذا المشهد، فتقول: "الصوت الساحر يغريني بمتابعة الاستماع، بينما كلمات الأغنية تضغط على قلبي بشدة، وتقطع أنفاسي.

أعدتُ إقفال النافذة وأنا ألهث بصعوبة وصدري يكاد ينفجر، عدت إلى سريري"(13)(الذرعاني، 2022م، ص15).

وهنا نجدها أغلقت النافذة؛ لأنّها عندما سمعت الشخصية كلمات أغنية محمد حسن حدثت المفارقة، فبدل أن ترتاح وتهدأ نفسها ازدادت ضيقاً وألماً، فطوّعت الكاتبة اللّغة لصالحها وجعلتها أداة سردية تصف بدقة المشهد الدرامي، والتوتر والقلق الواقع على هذه الشخصية، من خلال انتقاءها لهذه الألفاظ (تضغط على قلبي، تقطع أنفاسي، ألهث بصعوبة، صدري يكاد ينفجر).

جاءت دلالة النافذة مناقضة ومخالفة لما كان متوقع حدوثه، مما أدّى إلى نفوز الشخصية وإغلاقها للنافذة .

أصابت الكتابة في توظيفها لهذا المكان (النافذة) وتطويعها من خلال استخدام اللغة وحاسة السمع؛ لصناعة المعنى وتوليد الدلالات التي تجعل القارئ يقوم بتأويل هذه المعاني الرمزية والاجتماعية للنص العام وربطها بالحالة النفسية للشخصية.

وهناك أماكن ذُكرت عرضاً في الرواية، مثل: حي الليثي، المسجد الذي تدرس فيه (سناء) ابنة الشخصية الرئيسية (سعاد)، دكان الحاج عمر. للمواد الغذائية.

كل هذه الأماكن ذكرت عرضاً في الرواية؛ لأنّها جاءت كديكور لإكمال لوحة فنية جميلة، ولسدّ الثغرات التي يُحدثها السَّرد في النص الأدبي.

علاقة المكان بعناصر السَّرد الأخرى :

يرتبط عنصر المكان بباقي العناصر السَّردية الأخرى ارتباطاً قوياً؛ وذلك لحاجته لهم فهو بدونهم كاليَّد الواحدة التي تحتاج ليد أخرى للتصفيق، فالمكان يُؤثِّر فيهم ويتأثَّر بهم، وهذا ما سأتطرق إليه في دراستي لرواية (أم الزين) لـ(غالية يونس الذرعاني).

- علاقة المكان بالحدث:

فالعمل الأدبي "بوصفه شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث"(14) (بحراوي، 1990م، ص32).

يرى بحراوي أن لابد من وجود صلة تربط وتحكم تشابك عناصر السرد ببعضها لبناء فضاء سردي محكم، لإبراز الدلالات المطلوبة منه .

"طفل يركض في الشارع، خلفه تركض كلاب سود، وأنا أصرخ بلا صوت، الأعين تتلصص من خلف النوافذ والأبواب، تراقب المشهد بخوف وترقب وحذر، فأركض نحو الطفل، والرصاص يتطاير من حولي، وحين أصل إليه أجده يسبح في دمه، وقد فاضت روحه إلى ربها"(15)(الذرعاني، 2022م، ص17) .

منذ بداية الرواية وهذا الكابوس أو الهاجس يرافق الشخصية الرئيسية (سعاد) ويجعلها في حيره وخوف وقلق، ويجعلها في تساؤل دائم عن ماهيته والعلاقة التي تربطها به، لتتوالى الأحداث ونعرف من خلال مشهد النهاية، عندما دار حوار بين (سعاد) وزوجها (محمود)، أخبرها أنّه لا جدوى من البحث عن ابنها (سراج)؛ لأنه مات وهو يحاول الهرب من رجال مسلّحين أرادوا أخذ بعض المعلومات منه.

وهنا تسترجع ذاكرة سعاد هذا الحدث أو الكابوس الذي تراه باستمرار، ليتّضح لهذا أن هذا الموقف، هو حدث موت ابنها "عادت صورة الطفل الذي يركض، وخلفه يتطاير الرصاص، كنتُ أركض خلفه، سبقته في الركض هذه المرة، ورأيت ملامحه، نعم ملامحه، كانت كلها تخبرني بأن ذاك الطفل هو ولدي سراج"(16)(الذرعاني، 2022م، ص149).

هنا الكاتبة ربطت المكان مسرح الجريمة (أمام بيت سعاد) بالحدث (وهو محاولة القبض على ابنها سراج من ثم قتله)، لأنَّ المكان عمل كمحرك للحدث بفعل الشخصيات التي ساعدت في تطور وتنامي الأحداث .

- علاقة المكان بالشخصية:

1 _المكان المعادي:

هو المكان الذي يبعث في النفس النفور والقلق والاضطراب، لا تألفه الشخصيات، مثل: بيت الشخصية الثانوية (نفيسة) .

- بيت نفيسة:

"حين وصلنا الحي الذي يقع فيه بيتها، لاذت بالصمت فجأة، وظل بصرها معلقاً بفيلا في ب

داية الحي كانت محترقة كلها، والسخام قد غطى على طلائها الأخضر الزاهي، لم يعد موجوداً من فيلتها شيء، احترقت كلها"(17)(الذرعاني، 2022م، ص129) .

بعد أن خرجت نفيسة من المستشفى بصحبة (سعاد) وبعد أن استعادت عافيتها، قررت الذهاب إلى بيتها تتفقد أحواله، فوجدته قد احترق بفعل فاعل.

وبعد أن كان بيت نفيسة مكاناً أليفاً تستقر فيه الشخصية الثانوية (نفيسة)،أصبح بعد إحراقه مكاناً معادياً، تنفر منه صاحبته؛ لأنّه لم يعد يوفر الأمان والاستقرار والراحة.

وظفت الكاتبة هذا المكان بشكل منطقي وفقا لمجريات الأحداث، ووفقا لمتطلبات النص الأدبي.

2 _المكان الأليف:

وهو المكان الذي تألفه الشخصيات وتستأنس به، وتجد فيه الأمن والراحة والاستقرار، ومن الأماكن التي تبعث السكينة في النفس وشعور الأمان، هو (البيت) .

1 _البيت (بيت سعاد):

يقول غاستون باشلار :"المكان الأليف، هو ذلك البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة، ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور"(18).(باشلار ، ،ص6) .

"ومع أول خطوة إلى الداخل تعثرتُ بنفيسة وسقطت كلانا على الأرض وأنا أتنفس بصعوبة، ملئني ملمس السجاد القديم الخشن بإحساس عظيم من الأمان"(19)(الذرعاني، 2022م،ص99).

في هذا المقطع نجد أنَّ البيت يوحي بالراحة والألفة والاستقرار والأمان، إذ أن الشخصية الرئيسية وهي تحمل نفيسة إلى بيتها في حالة رعب وخوف، من اكتشاف أمرها، ولكن بمجرد دخولها إلى بيتها وملامستها لسجادتها التي وقعت عليها شعرت بالأمان والراحة التي كانت تفتقدها في الطريق، وهي تحمل نفيسة معها.

وُفِقت الكاتبة في توظيف البيت كملاذ آمن يعطي الإحساس بالأمن والاطمئنان.

2 _مستشفى الجلاء (بنغازي):

المستشفى مكان في العموم يحمل دلالة جميلة، وهو أنّه مكان أليف رحيم يقدّم المساعدة والعلاج لكل الناس، حتى أنَّ الأطباء اللذين يعملون فيه يطلق عليهم (ملائكة الرحمة)، نظرا لما يقدمونه من مساعدة للمرضى، رأفة بحالتهم .

"نظارتي والمعطف الأبيض والسماعة الطبية حول عنقي، مقياس الضغط، ومقياس الحرارة في جيبي، صارت ثيمات لشخصيتي هنا، حتَّى أن الكثير من الموظفين والمرضى يعتقدون بأني طبيبة"(20)(الذرعاني، 2022م، ص21) .

المستشفى هو المكان الذي أعطى للشخصية المحورية (سعاد) مواصفات الطبيبة من خلال تواجدها وأداء عملها فيه، فهذه الأدوات التي تحملها في جيبها، مثل: مقياس الحرارة، ومقياس الضغط، والسماعة الطبية تعطي انطباعاً لمن يراها بأنّها طبيبة، حتى وإن كانت ليست كذلك.

استدعت الكاتبة (تقنية الوصف)، لوصف المظهر الخارجي للشخصية الرئيسية (سعاد)؛ فجسّدت العلاقة التي تربط المكان (المستشفى)، بهذه الشخصية، لإبراز صلة الشخصية وانتمائها لهذا المكان، فالمكان ليس مجرد خلفية جامدة لا دلالة فيه، بل أداة سردية، وعنصر فاعل يؤثر ويتأثر بالشخصية .

- علاقة المكان بالزمن الروائي:

"قبل عشر سنوات تقريباً، كانت هذه الشقة تضيق بعراك ستة أطفال إضافة إلى سراج الغائب في المجهول وسناء الضائعة في الغربة: فدوى، ونازك سماهما أبي على أسمي شاعرتين يحبهما، وعبدالحليم وفريد سماهما زوجي محمود على اسمي مطربين يعشقهما، ومحمد سميته على أبي، خديجة . أصغرهم . حملت اسم جدتها لأبيها، أنا سراج وسناء، فقد سمتهما فاطمة"(21)(الذرعاني، 2022م، ص13،14).

تسرد (سعاد) حياتها منذ عشر سنوات قبل موت ابنها، ودخولها في حالة نفسية سيئة، كيف كانت مجتمعة هي وعائلتها وزوجها في بيت واحد، تملؤه الألفة والمحبة.

في هذا المشهد وظفت الكاتبة تقنية الاسترجاع، فعمل الزمن الروائي من خلال عودتها بالماضي (قبل عشر سنوات) وربطها بالمكان (البيت الذي تجتمع فيه هي وعائلتها) إلى إبراز حالتها النفسية وافتقارها للألفة واجتماع العائلة الذي تحنّ إليه، كما كان حالها قبل عشر سنوات .

إنَ عقلها أبى تصديق موت ابنها (سراج) ودخلت في متاهة كبيرة(متاهة الوهم) وهو أنَ ابنها مازال حياً وموجود في إحدى السجون وهذا ما جعل علاقتها سيئة ومضطرة مع عائلتها، مما جعل زوجها يأخذ أطفاله ويرحل عن البيت خوفاً عليهم من تأثير حالتها النفسية عليهم

تبرز الكاتبة التغيير الجذري الذي حدث لـ(سعاد) وتسبب في تدهور حالتها النفسية، ممّا جعل الكاتبة تبرع في ربط علاقة المكان بالزمن الروائي من ثمَّ بالشخصيات .

الخاتمة:

1 _إن المكان ليس عنصراً جامداً لا مبالياً في النص الروائي، وإنّما عنصر نشط ومحرّك أساسي للأحداث لا يمكن إبعاده أو إقصاءه.

2_ المكان عنصر قابل للانصهار مع باقي العناصر السردية الأخرى؛ لتوليد الدلالات المطلوبة منه.

_تتّضح براعة الكاتبة في توظيفها للمكان في روايتها، رغم قلة الأماكن فيها.

4 _وظفت الكاتبة عنصر المكان توظيف منطقياً نابعاً من الواقع الاجتماعي، وأثّرت في القاريء تأثيراً إيجابياً .

الهوامش:

( )فاطمة الزهراء عجوج، المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف، قادة عقاق، جامعة جيلاني _ الجزائر، 2017، 2018م، ص220.

2 ((محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون . بيروت . لبنان، ط1، 1431هـ . 2010م، ص100.

(3)غاستون باشلار، جماليات المكان، تر، غالب هلساَ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1404هـ ، 1984م، ص31.

4 ((حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء، ط1، 1990م، ص27.

5 ((المرجع السابق، ص33.

(6)مريم اكبرى موسى آبادى، محمد خاقانى اصفهانى، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، فصلية إضاءات نقدية، السنة 2، العدد7، خريف 1391، ص16 .

7 ((محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص99 .

8 ((غالية يونس الذرعاني، أم الزين، منشورات طيوب الثقافية، ص50،51.

9 ((المصدر السابق، ص50.

((0 المصدر نفسه، ص58،59.

((1 نفسه، ص93.

((2 م ن، ص14.

((3 م ن، ص15.

((4 بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص32.

(15)غالية الذرعاني، أم الزين، ص17.

(16)المصدر السابق، ص149 .

((7 المصدر نفسه، ص129.

(18)غاستون باشلار، جماليات المكان، ص6.

((9 غالية الذرعاني، أم الزين، ص99.

20 ((المصدر السابق، ص21.

21)) المصدر نفسه، ص14،13.